محركات الأفكار

سبق في بدايات التمهيد الإشارة إلى مركزية مفهوم "محركات الأفكار" في تشكيل هوياتنا الفكرية، وأن العامل العلمي أو المعرفي وإن كان له تأثير لا ينكر هنا فليس هو المسؤول وحده في تشكيل هذه الهويات، بل ثمة في كثير من الأحيان عوامل أخرى قد تكون أعمق أثراً وأشد تأثيراً من هذا العامل. ولئن كان البحث في جملته يستصحب عامل (**الرضوخ للمزاج الليبرالي السائد**) خصوصاً عند معالجة (**مزالق هدر النصوص الشرعية**) فإن هذا العامل وحده ليس هو المسؤول في كثير من الأحيان عن الوقوع في فخ التفلت من واجب التسليم، بل قد يكون لغيره تأثير أشد بحسب الشخص، أو الموضوع، أو الظرف أو غير ذلك، وإذا كان البحث يرغب في تأسيس وتأصيل مقام التسليم للنص الشرعي بشكل عام فمن المناسب جداً استعراض ما يتعلق (بمحركات الأفكار) وعدم الاكتفاء بالإشارةٍ السريعة الواردة في التمهيد، وليكن هذا المبحث تتميماً وتكميلاً لتلك الإشارة الواردة في ذلكم التمهيد، فهذه المحركات لا يقتصر تأثيرها على المجال الفكري وحده بل يمتد أثرها في معارضة مبدأ التسليم ليشمل مجالات حياتية متعددة نظرية وسلوكية، ومحاولة الوصول إلى شيء من تفاصيلها والاطلاع عليها تنقلها من حيز غير المفكر فيه إلى حيز آخر يجعلها في موضع الملاحظة ويرفع من حساسيتنا تجاهها، فإذا وجدت في نفسك قدراً ولو ضئيلاً من الحرج تجاه نص شرعي، فاستحضر هذه المحركات لعل المشكلة نابعة من واحد منها.

الوحي وحديث المكاشفة

إذا تأملت في خطاب الشرع وجدت المعاني السابقة مقررةً بشكل واضح جداً في جملةٍ عريضةٍ من النصوص الشرعية، وميزة الخطاب القرآني في كشف بنيةً التصور، ودهاليز النفس، وبيان التفاعلات المولدة للفكرة والاعتقاد؛ أنها صادرة عمن هو أدرى بطبيعة النفس من صاحب النفس ذاتها، وأعلم بالإنسان ودوافعه ودواخله من الإنسان. وكثيراً ما تكون تلك العوامل المؤثرة في تشكيل القناعة والتصور معطيات داخلية ذاتية لا يمكن الاطلاع عليها إلا من خلال معرفة صاحبها بدواخل نفسه، بل كثيراً ما تكون هذه المعطيات مؤثرة في صاحبها بغفلة منه، فيأتي الوحي ليفضح تلك المعطيات ويكشفها، ويبين تلك السياقات غير المنظورة، ليؤكد من خلال تجليتها على خطورة تلك العوامل وشديد تأثيرها في تشكيل العقيدة والتصور.

وإذا كنا نتحدث عن عوامل رد الحق والإقبال على الباطل فيمكن إعادتها إجمالاً إلى مفهوم مركزي في خطاب الوحي، والذي يشكل غطاءً لعامة بواعث الانحراف عن الحق، وهو مفهوم (الهوى)، فكل ذريعةٍ تصد صاحبها عن الاستجابة للحق فإنما

لغلبة الهوى على النفس، وقد كشف القرآن صراحةً عن ثنائية (الاستجابة للحق أو الاستجابة للهوى) فقال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠] فليس ثمة إلا طريقان: الاستجابة للوحي، أو الوقوع في أفخاخ الهوى. ومثل هذه الآية في الدلالة أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، فإما الحكم بالحق، وإما حكم الهوى. ومثلهما أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، قال الإمام الشاطبي:

(العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع، لم يبق له إلا الهوى والشهوة)[(١)].

وقال العلامة عبد الرحمن المعلمي كاشفاً شديد تأثير الهوى على الإنسان:

(وللهوى سلطان عظيم على النفوس، فربما عرضت الحقيقة البينة على النفس وهي غير مخالفة لهواها فقبلتها، ثم تعرض عليها حقيقة مثل تلك في الوضوح أو أبين ولكنها مخالفة لهواها فتردها)[(٢)].

وبطبيعة الحال فمفهوم الهوى في الخطاب الشرعي واسعٌ جداً يندرج تحته عدد كبير من الممارسات والصور. فمن تلك الصور:

---

(١) الاعتصام ١/ ٥١.

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله ١٥٩، وهو المعروف بكتاب (العبادة).

العصبيات ورد الحق

يقول المولى تبارك وتعالى في سياق بيان أثر العصبية في رد الحق: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فتأمل كيف يتكرر ذات الاحتجاج من مختلف الأمم مع مختلف الأنبياء بما يؤكد عمق تأثير العصبية للآباء والأسلاف في استبقاء التصورات المنحرفة. وحتى تستيقن عمق تأثير هذا العامل في رد الحق تأمل في حال أبي طالب وإصراره على الكفر حتى لحظة الموت مع معرفته بحال النبي ﷺ وصدقه وصدق دعوته، عن سعيد بن المسيب عن أبيه: أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالبٍ الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالبٍ: (يا عم قل لا إله إلا الله كلمةً أشهد لك بها عند الله) فقال أبو جهلٍ وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالبٍ أترغب عن ملة عبد المطلب! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبو طالبٍ آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: (أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ

وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُوْلِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣] (١).

وبطبيعة الحال فالعصبية لا تختص بالآباء والأجداد بل تتمدد ظاهرة التعصب لتشمل العصبية للرئيس والمعلم والشيخ والحزب والجماعة والتيار وهكذا، وقد حكى الله تعالى شهادة الأتباع في أثر السادة والكبراء ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧ – ٦٨]، وفي مشهد المحاورة بين الأتباع والكبراء عبرة وعظة: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣١ – ٣٣].

ومن جميل أقوال الغزالي رحمه الله الدالة على ما للعصبية للطائفة أو ضدها من أثر في قبول الحق:

(ولذا تورد على بعض العوام مسألة عقلية جليلة، فيقبلها، فإذا قلت: هذا مذهب الأشعري، أو الحنبلي، أو المعتزلي، نفر عنه إن كان يسيء الاعتقاد فيمن نسبته إليه، وليس هذا طبع العامي خاصة بل طبع أكثر العقلاء المتسمين بالعلوم إلا العلماء الراسخين الذين أراهم الله الحق حقاً وقواهم على اتباعه) (٢).

---

(١) رواه البخاري (١٣٦٠)، والنسائي (٢٠٣٥)، والإمام أحمد في المسند (٢٣٧٢٤).

(٢) المستصفى ١/ ١١٧، وللشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني تعليق نفيس على كلام الغزالي هذا، قال فيه: (فأما ما ذكره الغزالي، أن الإنسان قد تذكر له مسألة عقلية جليلة فيقبلها، فإذا قيل له: =

ومن الأخبار العجيبة التي ساقها الإمام الشاطبي بهذا الخصوص، ما ذكره عن أحد علماء النصارى، قال رحمه الله:

(وحكى المسعودي: أنه كان في أعلى صعيد مصر رجل من القبط ممن يظهر دين النصرانية، وكان يُشار إليه بالعلم والفهم، فبلغ خبره أحمد بن طولون فاستحضره وسأله عن أشياء كثيرة من جملتها: أنه أمر في بعض الأيام وقد أحضر مجلسه بعض أهل النظر ليسأله عن الدليل على صحة دين النصرانية، فسألوه عن ذلك، فقال: دليلي على صحتها وجودي إياها متناقضة، متنافية، تدفعها العقول، وتنفر منها النفوس لتباينها وتضادها، لا نظر يقويها، ولا جدل يصححها، ولا برهان يعضدها من العقل والحس عند أهل التأمل فيها، والفحص عنها، ورأيت مع ذلك أمماً كثيرة وملوكاً عظيمةً ذوي معرفة وحسن سياسة وعقول راجحة قد انقادوا إليها، وتدينوا بها مع ما ذكرتُ من تناقضها في العقل، فعلمت أنهم لم يقبلوها ولا تدينوا بها إلا بدلائل شاهدوها، وآيات ومعجزات عرفوها، أوجب انقيادهم إليها والتدين بها.

فقال له السائل: وما التضاد الذي فيها؟ فقال: وهل يُدرك ذلك أو تُعلم

=هذا قول الأشعرية، وكان يسيء الظن بهم، نفر عنها، فقد يكون لما ذكر بأن يكون هذا الإنسان طالب علم، وقد عرف مسائل أخطأ فيها الأشعرية، فلما نسبت هذه المسألة إليهم نفرت نفسه عنها لمشابهتها لتلك المسائل، في أن الجميع من قول الأشعرية، فتوهم أن المشابهة في هذا الأمر تشعر بالمشابهة في الخطأ، وقوي هذا المعنى في وهمه حتى غلب ما قام لديه من دليل على صحة قولهم في تلك المسألة، وقد يكون طالع مذهب الأشاعرة فظهر له أن الغالب فيما يخالفون فيه المعتزلة، الخطأ، فاجتمع عنده القياس الوهمي السابق، مع الحمل على الغالب، وقد يكون سمع كثيراً ممن يحسن الظن بهم، يذمون الأشعرية، وقد يكون وجد آباءه وأشياخه على الاعتزال، ونشأ عليه، فصار يكره أن ينسب الغلط إلى مذهبه ومذهب آبائه وأشياخه، وهذا هو التعصب، وهو أوخم هذه الأمور) العبادة ٢٠٣.

غايته؟! منها قولهم: بأن الثلاثة واحد وأن الواحد ثلاثة، ووصفهم للأقانيم والجوهر وهو الثالوثي، وهل الأقانيم في أنفسها قادرة عالمة أم لا، وفي اتحاد ربهم القديم بالإنسان المحدث، وما جرى في ولادته وصلبه وقتله، وهل في التشنيع أكبر وأفحش من إله صُلب وبُصق في وجهه ووضع على رأسه إكليل الشوك، وضرب رأسه بالقضيب، وسمرت قدماه، ونخز بالأسنة والخشبَ جنباه، وطلب الماء فسقى الخل من بطيخ الحنظل، فأمسكوا عن مناظرته لما قد أعطاهم من تناقض مذهبه وفساده)[1].

(١) الاعتصام ١/ ١٥٩.

سلطة الأقران في تشكيل الفكر

وفيما سبق من قصة أبي طالب دلالة بليغة على أثر الصحبة في تشكيل هوياتنا الفكرية، وقد التقط هذه الملاحظة الإمام ابن القيم رحمه الله فقال مبيناً تغول هذه السلطة في حياتنا وشدة تأثيرها:

(هذا وكم جلبت خلطة الناس من نقمة، ودفعت من نعمة، وأنزلت من محنة، وعطلت من منحة، وأحلت من رزية، وأوقعت في بلية، وهل آفة الناس إلا الناس، وهل كان على أبي طالب عند الوفاة أضر من قرناء السوء، لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد)[١].

وقد لخص النبي ﷺ عمق تأثير الصاحب في صاحبه فقال: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[٢]. ويشهد لعمق هذا التأثير مشهد الحسرة الذي

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٥٥.

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) واللفظ لهما، وأحمد (٢/ ٣٣٤) (٨٣٩٨)، والحاكم (٤/ ١٨٨)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧/ ٥٥) (٩٤٣٦). قال الترمذي، والبغوي في ((شرح السنة)) (٦/ ٤٧٠)، والبدر الزركشي في ((اللآلئ المنثورة)) (٨٩): حسن غريب، وصحح إسناده النووي في ((تحقيق رياض الصالحين)) (١٧٧)، وحسنه ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) (١٥١).

حكاه الله تعالى عن بعض المنحرفين وكيف يكشف عن عمق أثر الصاحب على صاحبه: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩]، وقد نبه إبراهيم قومه إلى خطورة الصحبة وأثرها الضخم في زيغهم وانحرافهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥]، ويكفي أن تستحضر في هذا السياق كلمات ذلك المؤمن الناجي من أثر هذه السلطة لتعلم شدة أثرها في تشكيل الهوية الفكرية والعقدية والخلقية، وهي شهادة إنسانية موثقة في كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [الصافات: ٥٠ - ٥٧].

والكبر عامل انحراف

قال الله تعالى مبيناً عمق تأثير الكبر في عملية الزيغ والانحراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٥٦]، بل جعل الله من عقوبة المتكبر صرفه عن الحق وإيقاعه في حبائل الباطل، فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]. فالكبر يعمل كحائط صد بين الإنسان وبين استلهام هدايات الوحي، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٧]. وإذا تأملت في أحوال كثير من الطغاة، وفتشت في بواعث إعراضهم عن الحق وجدت للكبر حضوراً مركزياً في حالة الإعراض، تأمل مثلاً في حال فرعون وملئه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل:

١٤]، فالكبر من أكبر العوامل المشكلة لفكر المتكبر وتحديد هويته الفكرية، وقد بين النبي ﷺ أثر الكبر المزدوج في رد الحق واحتقار حملته فقال محذراً من خطورة الكبر: (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبرٍ)، قال رجلٌ: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنةً. قال: (إن الله جميلٌ يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس)[1]. وهو ما يؤكد عدم اقتصار تأثير الكبر على الطغاة في شهوات التغلب والتملك ونحوها فقط؛ بل إنه ليمتد إلى شهوات الكبر بالمذهب، وبالفكر، وبظن الفهم الذي لم يبلغه الآخرون، وهي من أعظم الفتن على متعاطي الفكر؛ أعني أن يقوده الفكر إلى الكبر، ثم إلى بطر الحق وغمط الناس.

(١) رواه مسلم (٩١)، وأبو داود (٤٠٩٤)، والترمذي (١٩٩٩)، والإمام أحمد في المسند (٤٠٥٨).

والحسد أيضاً سبب في الانحراف

(فإنه داء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه وأوتي ما لم يؤت نظيره، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه، وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟! فإنه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه غص بريقه واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة، وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم، وقد علموا علماً لا شك فيه أنه رسول الله جاء بالبينات والهدى، فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان، وأطبقوا عليه وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزهاد والقضاة والأمراء، هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة، لم يأت بشريعة يخالفها، ولم يقاتلهم وإنما أتى بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفاً ورحمةً وإحساناً وجاء مكملاً لشريعة التوراة، ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الإيمان، فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع مبكتاً لهم بقبائحهم ومنادياً على فضائحهم، ومخرجاً لهم من ديارهم، وقد قاتلوه

وحاربوه، وهو في ذلك كله ينصر عليهم ويظفر بهم ويعلو هو وأصحابه، وهم معه دائماً في سفال فكيف لا يملك الحسد والبغي قلوبهم وأين يقع حالهم معه من حالهم مع المسيح وقد أطبقوا على الكفر به من بعد ما تبين لهم الهدى وهذا السبب وحده كاف في رد الحق فكيف إذا انضاف إليه زوال الرياسات والمآكل)[1]. وتأمل ما حكاه الله عنهم من كفرهم بنبوة نبينا محمد ﷺ مع ما لهم من المعرفة الخاصة به والتي تبلغ من نفوسهم حد اليقين تعلم صدق أثر الحسد في الزيغ والانحراف، يقول الله تعالى حاكياً حالهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]. فمشكلتهم ليست مع العلم فهو حاضر موجود لكنه الحسد أن خرجت النبوة منهم ببعثته ﷺ، ومن القصص اللطيفة في تقرير هذه الطبيعة اليهودية ما حكاه سلمة بن سلامة بن وقش وكان من أصحاب بدر قال: كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل، قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير، فوقف على مجلس عبد الأشهل، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً على بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار، فقال: ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت. فقالوا له: ويحك يا فلان ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم؟ قال: نعم، والذي يحلف به، لود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبق به عليه وأن ينجو من تلك النار غداً، قالوا له: ويحك، وما آية ذلك، قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد، وأشار بيده نحو مكة واليمن، قالوا: ومتى تراه، قال: فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سناً فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه: قال سلمة: فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ وهو حي بين أظهرنا، فآمنا به وكفر به بغياً وحسداً،

(١) هداية الحيارى ١٦.

فقلنا: ويلك يا فلان ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت؟ قال: بلى وليس به[1].

وعموماً من تدبر نصوص الوحي وتاريخ اليهود فسيجد الحضور المركزي لمسألة الحسد في تشكل العقلية اليهودية، وموقفها من الحق، وقد حكى الإمام ابن القيم عليه رحمة الله طرفاً من هذا الشأن في أوائل كتابه هداية الحيارى من اليهود والنصارى.

(١) رواه أحمد (٣/ ٤٦٧) (١٥٨٧٩)، والحاكم (٣/ ٤٧١). وحسنه الوادعي في ((الصحيح المسند)) (٤٤٣)، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيق ((مسند أحمد)) (٣/ ٤٦٧).

والحرص على الجاه والمال سبب كذلك في الانحراف

ومما جاء في خبره وبيان عظيم خطره خبر هرقل الطويل وما جرى منه لما أرسل له النبي ﷺ كتاباً يدعوه إلى الإسلام، وهو خبر غزير الفائدة، كثير العبر والدروس، ومبتدأ الخبر كان مع أبي سفيان رضي الله عنه حين أرسل إليه هرقل وهو في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه، وحوله عظماء الروم ثم دعاهم، ودعا بترجمانه.

فقال: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسباً.

فقال: أدنوه مني، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟

قلت: هو فينا ذو نسب.

قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟

قلت: لا.

قال: فهل كان من آبائه من ملك؟

قلت: لا.

قال: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟

فقلت: بل ضعفاؤهم.

قال: أيزيدون أم ينقصون؟

قلت: بل يزيدون.

قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

قلت: لا.

قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

قلت: لا.

قال: فهل يغدر؟

قلت: لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة.

قال: فهل قاتلتموه؟

قلت: نعم.

قال: فكيف كان قتالكم إياه؟

قلت: الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه.

قال: ماذا يأمركم؟

قلت: يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة.

فقال للترجمان: قل له سألتك عن نسبه؟ فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: فلو كان من آبائه من ملك، قلت: رجل يطلب ملك أبيه. وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل. وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك: أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب. وسألتك: هل يغدر فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك: بما يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه.

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى، فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك

الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** ﴾ [**آل عمران**: ٦٤] قال أبو سفيان: فلما قال ما قال، وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات، وأخرجنا، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك نبي الأصفر. فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام.

وكان ابن الناظور صاحب إيلياء وهرقل أسقفاً على نصارى الشام، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك، قال ابن الناظور وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم، فقال لهم حين سألوه: إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختن من هذه الأمة؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود فلا يهمنك شأنهم، واكتب إلى مداين ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود، فبينما هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل، قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب، فقال: هم يختتنون، فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر. ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية وكان نظيره في العلم، وسار هرقل إلى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي، فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان، قال: ردوهم علي، وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت، فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل[1].

(١) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، والإمام أحمد في المسند (٢٣٧٠).

هذا الحديث المهيب الجليل يتضمن عظة وعبرة في خطورة حب الجاه على دين المرء وأنه قد يكون سبباً عظيماً في ترك الحق والإعراض عنه. ومن لطيف الأخبار الدالة على هذا المعنى أيضاً ما ذكره ابن القيم عن واحد ممن ناظره من النصارى، قال عليه رحمة الله:

(ولقد ناظرت بعض علماء النصارى معظم يوم، فلما تبين له الحق بهت، فقلت له وأنا وهو خاليين: ما يمنعك الآن من اتباع الحق؟ فقال لي: إذا قدمت على هؤلاء الحمير -هكذا لفظه- فرشوا لنا الشقاف تحت حوافر دابتي، وحكموني في أموالهم ونسائهم، ولم يعصموني فيما آمرهم به، وأنا لا أعرف صنعة، ولا أحفظ قرآناً ولا نحواً ولا فقهاً، فلو أسلمت لدرت في الأسواق أتكفف الناس فمن الذي يطيب نفساً بهذا، فقلت: هذا لا يكون، وكيف تظن بالله أنك إذا آثرت رضاه على هواك يخزيك ويذلك ويحوجك، ولو فرضنا أن ذلك أصابك فما ظفرت به من الحق، والنجاة من النار، ومن سخط الله وغضبه فيه أتم العوض عما فاتك، فقال: حتى يأذن الله، فقلت: القدر لا يحتج به، ولو كان القدر حجةً لكان حجة لليهود على تكذيب المسيح، وحجة للمشركين على تكذيب الرسل، ولا سيما أنتم تكذبون بالقدر فكيف تحتج به، فقال: دعنا الآن من هذا، وأمسك)[1].

وهذه القصة وسابقتها شواهد عملية على صدق قول النبي ﷺ: (ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)[2].

---

(١) هداية الحيارى ١١٩.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٧٦)، والإمام أحمد في المسند (١٥٨٢٢)، حسنه البغوي في ((شرح السنة)) (٧/ ٢٩٩)، والهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/ ٢٥٣)، وقال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٣/ ١٤): (إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما)، وحكم بصحته الألباني في ((صحيح الترمذي)) (٢٣٧٦)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (١١٠٠).

في لحظات المكاشفة تتجلى الحقائق

ولئن حاول كثير من أهل الضلال تغليف انحرافه بالعلم والمعرفة فإن شواهد الحال في كثير من الأحوال تكون فاضحة، وفي لحظات المكاشفة تظهر الحقائق وتتجلى الدوافع والبواعث، فهذا حيي بن أخطب اليهودي كفر بالنبي ﷺ ورفض دعوته مع اتضاح أمره ﷺ في نفسه ومعرفته بصدقه يقيناً، عن عبد الله بن أبي بكر قال: حدثني محدث عن صفية بنت حيي أنها قالت: لم يكن من ولد أبي وعمي أحد أحب إليهما مني، لم ألقهما قط مع ولد لهما أهش إليهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله قباء نزل قرية بني عمرو بن عوف، غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس، فجاءانا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إلي واحد منهما فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: تعرفه بعينه وصفته؟! فقال: نعم والله، قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت![1].

---

(١) رواه البيهقي في ((دلائل النبوة)) (٢/ ٥٣٣) (٧٨٤).

وقريبٌ من حاله حال أبي جهل الذي استبان له صدق النبي ﷺ يقيناً لكنه ظل مصراً على الكفر به حتى آخر الأنفاس، فعن الزهري قال: حُدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ، وهو يصلي بالليل في بيته، وأخذ كل رجل منهم مجلساً ليستمع فيه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له حتى إذا أصبحوا أو طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودن لو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصا ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: حدثني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، وأشياء ما أعرف معناها ولا ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت له به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال: يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد، فقال: ماذا سمعت، تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى تدرك هذه والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه فقام عنه الأخنس بن شريق[1].

(١) رواه أبو إسحق في ((السيرة النبوية لابن هشام)) (١/ ٣١٥)، والبيهقي في ((دلائل النبوة)) (٢/ ٢٠٦)(٥٠٧).

ابن القيم يلخص أسباب الإعراض عن الحق

يقول ابن القيم ملخصاً بعضاً من أسباب الإعراض عن الحق:

(والأسباب المانعة من قبول الحق كثيرة جداً فمنها: الجهل به، وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس فإن من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله، فإن انضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى، فإن انضاف إلى ذلك إلفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ومن يحبه، ويعظمه قوي المانع، فإن انضاف الى ذلك توهمه أن الحق الذي دُعي إليه يحول بينه وبين جاهه وعزه وشهواته وأغراضه، قوى المانع من القبول جداً، فإن انضاف إلى ذلك خوفه من أصحابه وعشيرته وقومه على نفسه وماله وجاهه كما وقع لهرقل ملك النصارى بالشام على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ازادد المانع من قبول الحق قوة)[١].

(١) هداية الحيارى ١٦.

ذهبي العصر يكشف حقائق النفوس

ومن أكثر من تكلم في مقامات الحق والباطل، وفصل أسباب إعراض الخلق عن الحق، وكشف عن الأبعاد النفسية التي تقف خلف كثير من الانحرافات؛ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني في كتابه اللطيف (القائد إلى تصحيح العقائد)، وهذه الملامح التي كشف عنها المعلمي جديرة فعلاً بأن تشكل متناً منهجياً مهماً حيال هذه المسائل، وأن تكون محلاً لمدارسة ومذاكرة أوسع، وأكتفي هنا بهذا المسرد لبعض أقواله رحمه الله في مقام الحق ومقام الباطل، وأسباب الإقبال على الحق والإعراض عنه:

- نوازع الحق والباطل في النفس، وتحقيق مشهد الابتلاء:

- (إن مدار كمال المخلوق على حب الحق وكراهية الباطل، فخلق الله تعالى الناس مفطورين على ذلك، وقدر لهم ما يؤكد تلك الفطرة، وما يدعوهم إلى خلافها، ليكون عليهم في اختيار الكمال وهو مقتضى الفطرة مشقة وتعب وعناء،

ولهم في خلاف ذلك شهوة وهوى، فمن اختار منهم مقتضى الفطرة وصبر على ما فيه من المشقة والعناء، وعما في خلافه من الراحة العاجلة واللذة استحق أن يحمد، فاستحق الكمال فناله، ومن آثر الشهوة واتبع الهوى واستحق الذم فسقط)[1].

- (والإنسان لا يكره الحق من حيث هو باطل، ولكنه يحب الحق بفطرته، ويحب الباطل لهواه وشهوته، ومدار الفوز أو الخسران على الإيثار، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١]، ولك أن تقول: إن الله تبارك وتعالى في جانب، والهوى في جانب، وقد قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣ - ٤٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣][2].

- من دقيق أسباب الإعراض عن الحق صعوبة الاعتراف بالخطأ:

- (أن يرى الإنسان أن اعترافه بالحق يستلزم اعترافه بأنه كان على باطل، فالإنسان ينشأ على دين أو اعتقاد أو مذهب أو رأي يتلقاه من مربيه ومعلمه على أنه حق فيكون عليه مدة، ثم إذا تبين له أنه باطل شق عليه أن يعترف بذلك، وهكذا إذا كان آباؤه أو أجداده أو متبوعه على شيء، ثم تبين له بطلانه، وذلك أنه يرى أن نقصهم مستلزم لنقصه، فاعترافه بضلالهم أو خطأهم اعتراف بنقصه، حتى أنك لترى المرأة في زماننا هذا إذا وقفت على بعض المسائل التي كان فيها خلاف بين أم المؤمنين عائشة وغيرها من الصحابة أخذت تحامي عن قول عائشة، لا لشيء إلا لأن عائشة امرأة مثلها،

(١) القائد ٩.

(٢) القائد ١١.

فتتوهم أنها إذا زعمت أن عائشة أصابت وأن من خالفها من الرجال أخطؤوا؛ كان في ذلك إثبات فضيلة لعائشة على أولئك الرجال، فتكون تلك فضيلة للنساء على الرجال مطلقاً، فينالها حظ من ذلك، وبهذا يلوح لك سر تعصب العربي للعربي، والفارسي للفارسي، والتركي للتركي، وغير ذلك، حتى لقد يتعصب الأعمى في عصرنا هذا للمعري!)[1].

- (ومخالفة الهوى للحق في العلم والاعتقاد قد تكون لمشقة تحصيله، فإنه يحتاج إلى البحث والنظر، وفي ذلك مشقة ويحتاج إلى سؤال العلماء، والاستفادة منهم وفي ذلك ما مر في الاعتراف، ويحتاج إلى لزوم التقوى طلباً للتوفيق والهدى وفي ذلك ما فيه من المشقة، وقد تكون لكراهية العلم والاعتقاد نفسه وذلك من وجهات، الأول ما تقدم في الاعتراف فإنه كما يشق على الإنسان أن يعترف ببعض ما قد تبين له، فكذلك يشق عليه أن يتبين له، فيشق عليه أن يتبين بطلان دينه، أو اعتقاده، أو مذهبه، أو رأيه الذي نشأ عليه، واعتز به، ودعا إليه، وذب عنه، أو بطلان ما كان عليه آباؤه وأجداده وأشياخه، ولا سيما عندما يلاحظ أنه إن تبين له ذلك تبين أن الذين يطريهم ويعظمهم ويثني عليهم بأنهم أهل الحق والإيمان والهدى والعلم والتحقيق هم على خلاف ذلك، وأن الذين يحقرهم ويذمهم ويسخر منهم وينسبهم إلى الجهل والضلال والكفر هم المحقون، وحسبك ما قصه الله عز وجل من قول المشركين، قال تعالى: ﴿**قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [**الأنفال**: ٣٢]، فتجد ذا الهوى كلما عرض عليه دليل لمخالفيه، أو ما يوهن دليلاً لأصحابه شق عليه ذلك واضطرب واغتاظ وسارع إلى الشغب، فيقول في دليل مخالفيه: هذه شبهة باطلة مخالفة للقطعيات، وهذا المذهب مذهب باطل لم يذهب إليه إلا أهل الزيغ والضلال، ويؤكد ذلك بالثناء على مذهبه وأشياخه

---

(١) القائد ١٢.

ويعدد المشاهير منهم ويطريهم بالألفاظ الفخمة، والألفاظ الضخمة، ويذكر ما قيل في مناقبهم ومثالب مخالفيهم، وإن كان يعلم أنه لا يصح، أو أنه باطل! ومن أوضح الأدلة على غلبة الهوى على الناس أنهم -كما تراهم- على أديان مختلفة، ومقالات متباينة، ومذاهب متفرقة، وآراء متدافعة، ثم تراهم كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢] فلا تجد من ينشأ على من ذلك ويثبت عليه ويرجع عنه إلا القليل، وهؤلاء القليل يكثر أن يكون أول ما بعثهم على الخروج عما كانوا عليه أغراض دنيوية)[١].

- (ومنها أن يميل إلى ما وقع في ذهنه أولاً، فيصعب على نفسه أن تعترف أنها أخطأت أولاً، ولا سيما إذا كان قد أظهر قوله الأول، وإذا تمكن الهوى عميت البصيرة، فتعرض على صاحبه الحجة النيرة فيرى أنها شبهة فقط، حتى أنه كثيراً ما يقول: إنها شبهة لا أقدر على حلها، وتعرض عليه الشبهة الضعيفة الموافقة لهواه، فيرى أنها برهان قاطع)[٢].

- علاج مرض العصبية للآباء والأشياخ:

(هذا وما منا إلا من يعتز بآبائه وأشياخه، ويعز عليه أن يتبين أنهم كانوا على باطل، ولكن أقل ما يجب علينا أن نعلم أن آباءنا وأشياخنا لم يكونوا معصومين، وهب أنه يبعد عندنا جداً أن يكونوا تعمدوا الباطل؛ فما الذي يبعد أن يكونوا غلطوا أو أخطؤوا؟ وعلى كل حال فليسوا إلا أفراداً من المسلمين وقد اختلف المسلمون، وفي الفرق الأخرى أئمة وأكابر إن لم يكونوا أفضل من آبائنا وأشياخنا فلم يكونوا دونهم، وإذا راجعت نفسك علمت أنك لست بأحق من مخالفك بالقناعة بما مضى عليه الآباء والأشياخ، وأنه كما يحتمل أن يكون آباؤه وأشياخه هم المبطلين عمداً أو خطأً فمن

(١) القائد ١٣.
(٢) العبادة ٥٣٦.

المحتمل أن يكونوا هم المحقين، بل الحق أن لا حق لك ولا له في التضحية بالنفس والدين في سبيل التعصب الفارغ الذي يعود بالخسران المبين، وبالضرر على الآباء والأشياخ أنفسهم، كما مر في أوائل الرسالة، فدع الآباء والأشياخ، والتمس الحق من معدنه، ثم إن شئت فاعرض مقالة آبائك وأشياخك فما وافقه حمدت الله تعالى على ذلك، وما خالفه التمست لهم العذر، برجاء أن يكونوا لم يعتمدوا الباطل، ولم يقصروا تقصيراً لا يسعه عفو الله تبارك وتعالى، بل قد ثبت رجوع بعض أكابرهم كما مر في الباب الأول، ولعل غيرهم قد رجع وإن لم ينقل، فإذا سلكت هذه الطريق فقد هديت، وإن أبيت إلا التعصب لآبائك وأشياخك، والجمود على اتباعهم، فقد قامت عليك الحجة والله المستعان)[1].

- أثر المصالح الشخصية في التعلق بالباطل:

(أن يكون قد صار في الباطل جاه وشهرة وعيشة، فيشق عليه أن يعترف بأنه باطل فتذهب تلك الفوائد)[2].

- أثر الكبر في الإعراض عن الحق:

(الكبر، يكون الإنسان على جهالة أو باطل، فيجيء آخر فيبين له الحجة، فيرى أنه إن اعترف كان معنى ذلك اعترافه بأنه ناقص، وأن ذلك الرجل هو الذي هداه، ولهذا ترى من المنتسبين إلى العلم من لا يشق عليه الاعتراف بالخطأ إذا كان الحق تبين له ببحثه ونظره، ويشق عليه ذلك إذا كان غيره هو الذي بين له)[3].

- أثر الحسد في الإعراض عن الحق:

(الحسد، وذلك إذا كان غيره هو الذي بين الحق فيرى أن اعترافه بذلك الحق يكون

(١) القائد ٢٠٢.
(٢) القائد ١٣.
(٣) القائد ١٣.

اعترافاً لذلك المبين بالفضل والعلم والإصابة، فيعظم ذاك في عيون الناس، ولعله يتبعه كثير منهم، وإنك لتجد من المتتسبين إلى العلم من يحرص على تخطئة غيره من العلماء ولو بالباطل، حسداً منه لهم، ومحاولة لحط منزلتهم عند الناس)[١].

- من دقيق الهوى الباعث على التعلق بالباطل:

- (ومسالك الهوى قد تكون خفيةً جداً، فيتوهم الإنسان أنه لا سلطان للهوى عليه، وأنه ممن يجاهد في الله طلباً للحق أنى كان، مع أنه في الحقيقة على خلاف ذلك)[٢].

- (ومن جهات الهوى أن يتعلق الاعتقاد بعذاب الآخرة فتجد الإنسان يهوى أن لا يكون بعث لئلا يؤخذ بذنوبه، فإن علم أنه لا بد من البعث هوي أن لا يكون هناك عذاب، فإن علم أنه لا بد من العذاب هوي أن لا يكون على مثله عذاب كما هو قول المرجئة، فإن علم أن العصاة معذبون هوي التوسع في الشفاعة وهكذا)[٣].

- (ومن الجهات أنه إذا شق عليه عمل كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هوي عدم وجوبه، وإذا ابتلي بشيء يشق عليه أن يتركه كشرب المسكر هوي عدم حرمته، وكما يهوى ما يخف عليه فكذلك يهوى ما يخف على من يميل إليه، وما يشتد على من يكرهه، فتجد القاضي والمفتي هذه حالهما، ومن المنسبين إلى العلم من يهوى ما يعجب الأغنياء وأهل الدنيا، أو ما يعجب العامة ليكون له جاه عندهم وتقبل عليه الدنيا، فما ظهرت بدعة، وهويها الرؤساء والأغنياء وأتباعهم إلا هويها وانتصر لها جمع من المنتسبين إلى العلم، ولعل كثيراً ممن يخالفها إنما الباعث لهم مخالفتها هوى آخر وافق الحق، فأما من لا يكون له هوى إلا اتباع الحق فقليل، ولا سيما في الأزمنة

(١) القائد ١٣.

(٢) العبادة ٥٣٦.

(٣) القائد ١٥.

المتأخرة، وهؤلاء القليل يقتصرون على أضعف الإيمان، وهو الإنكار بقلوبهم والمسارة به فيما بينهم إلا من شاء الله)[1].

- (افرض أنه بلغك أن رجلاً سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وآخر سب داود عليه السلام، وثالثاً سب عمر أو علياً رضي الله عنهما، ورابعاً سب إمامك، وخامساً سب إماماً آخر، أيكون سخطك عليهم وسعيك في عقوبتهم وتأديبهم أو التنديد بهم موافقاً لما يقتضيه الشرع فيكون غضبك على الأول والثاني قريباً من السواء وأشد مما بعدهما جداً، وغضبك على الثالث دون ذلك وأشد مما بعده، وغضبك على الرابع والخامس قريباً من السواء ودون ما قبلهما بكثير؟

افرض أنك قرأت آية فلاح لك منها موافقة قول لإمامك، وقرأت أخرى فلاح لك منها مخالفة قول آخر له، أيكون نظرك إليهما سواء، لا تبالي أن يتبين منها بعد التدبر صحة ما لاح لك أو عدم صحته؟

افرض أنك وقفت على حديثين لا تعرف صحتهما ولا ضعفهما، أحدهما يوافق قولاً لإمامك والآخر يخالفه، أيكون نظرك فيها سواء، لا تبالي أن يصح سند كل منهما أو يضعف؟

افرض أنك نظرت في مسألة قال إمامك قولاً وخالفه غيره، ألا يكون لك هوى في ترجيح أحد القولين بل تريد أن تنظر لتعرف الراجح منها فتبين رجحانه؟

افرض أن رجلاً تحبه وآخر تبغضه تنازعا في قضية فاستفتيت فيها ولا تستحضر حكمها وتريد أن تنظر ألا يكون هواك في موافقة الذي تحبه؟

افرض أنك وعالماً تحبه وآخر تكرهه أفتى كل منكم في قضية واطلعت على فتويي صاحبيك فرأيتهما صواباً، ثم بلغك أن عالماً آخر اعترض على واحدة من تلك الفتاوى

---

(١) القائد ١٥.

وشدد النكير عليها أتكون حالك واحدة سواء كانت هي فتواك أم فتوى صديقك أم فتوى مكروهك؟

افرض أنك تعلم من رجل منكراً وتعذر نفسك في عدم الإنكار عليه، ثم بلغك أن عالماً أنكر عليه وشدد النكير، أيكون استحسانك لذلك سواء فيما إذا كان المنكر صديقك أم عدوك، والمنكر عليه صديقك أم عدوك ؟

فتش نفسك تجدك مبتلى بمعصية أو نقص في الدين، وتجد من تبغضه مبتلى بمعصية أو نقص آخر ليس في الشرع بأشد مما أنت مبتلى به؟ فهل تجد استشناعك ما هو عليه مساوياً لاستشناعك ما أنت عليه، وتجد مقتك نفسك مساوياً لمقتك إياه؟

وبالجملة فمسالك الهوى أكثر من أن تحصى، وقد جربت نفسي أنني ربما أنظر في القضية زاعماً أنه لا هوى لي فيلوح لي فيه معنى، فأقرره تقريراً يعجبني، ثم يلوح لي ما يخدش في ذاك المعنى، فأجدني أتبرم بذلك الخادش وتنازعني نفسي إلى تكلف الجواب عنه وغض النظر عن مناقشة ذاك الجواب، وإنما هذا لأني قررت ذاك المعنى أولاً تقريراً أعجبني صرت أهوى صحته، هذا مع أنه لم يعلم بذلك أحد من الناس، فكيف إذا كنت قد أذعته في الناس ثم لاح لي الخدش؟ فكيف لو لم يلح لي الخدش ولكن رجلاً آخر اعترض عليّ به؟ فكيف لو كان المعترض ممن أكرهه؟)[1].

---

(١) القائد ٣٢.

أهمية التعرف إلى محرك الفكرة

وتكمن أهمية معرفة السبب أو الأسباب التي تقف خلف تبني التصورات في تحديد منهجية التعاطي الأمثل معها، وكيفية معالجة الخطأ أو الانحراف متى لابس التصور، فإذا كانت بواعث التعلق بالفكرة الباطلة نفسية مثلاً فالاشتغال المجرد بتبيان الحق فيها بدلائله العلمية قد لا يجدي كثيراً في معالجة المشكلة في نهاية الأمر، ومن كان خطؤه منهجياً فقد لا ينتفع كثيراً بالمعالجة العلمية الجزئية وهكذا، ولذا فقد نوع القرآن أساليب الدعوة بناء على طبيعة البواعث والمحركات الكامنة للإقبال أو الإعراض عن الحق، فمثلاً قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

(أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح (بِالْحِكْمَةِ) أي: كل أحد على

حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده)(1).

ومما يسترعي الانتباه في المعالجة القرآنية لكثير من الانحرافات والأخطاء على مستوى التصور والسلوك ويؤكد على ضرورة التنبه إلى الطبيعة المركبة للانحراف عن الحق التذكير بالبعد الإيماني طلباً للتصحيح وإزالة الإشكال، فليس الأمر قاصراً على إزالة الإشكال المعرفي فقط بل ينبغي التنبه إلى المكون الإيماني وأثر ضعفه أو انعدامه في الإعراض عن الحق، تأمل في تنبيه الرب تعالى إلى السبب الباعث عند الكفار على رد الوحي والمطالبة بتغييره، يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ [**يونس**: ١٥]، تأمل كيف عرف الله الكفار في هذه الآية بواحدة من أهم خصائصهم للإشارة إلى أن هذه الخصيصة هي الدافع وراء رد النص والمطالبة بتغييره وهي إشكالية إيمانية تتصل بلقاء الله تبارك وتعالى.

ولذا فليس من المستغرب أن يتم التنبيه والتذكير بالبعد الإيماني عند ذكر واجب الرد إلى الله والرسول في حال التنازع والخلاف؛ تحفيزاً للمؤمن للقيام بهذا الواجب: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ [**النساء**: ٥٩].

وتأمل كيف نبه الله إلى البعد الإيماني عند حديثه عن مقام القدوة في شخص النبي ﷺ وأنه لا ينتفع به إلا من كان محققاً لمقامات الإيمان:

- ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [**الممتحنة**: ٦].

---

(١) تفسير السعدي ٤٥٢.

- ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وإذا تدبرت في تفاصيل الآيات القرآنية فلن تخطئ عينك مظاهر اقتران كثير من التشريعات العملية بالتذكير بالبعد الإيماني، بما يؤكد على حالة التلازم بين الظاهر والباطن وصلة المعتقد بالفعل، فمن الأمثلة القرآنية في هذا على مستوى الاعتقاد والتعبد والمعاملة:

- ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

- ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦].

- ﴿ لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ [التوبة: ٤٤ - ٤٥].

- ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٢].

- ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

- ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم

بالْـمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

- ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق: ٢].

والمقصود مما سبق جميعاً التأكيد على تعدد أسباب الانحراف، وأنه غير منحصر في خطأ النظر العقلي أو الاجتهاد المعرفي بل قد توجد هذه صحيحة في النفس وتتخلف آثارها من الاعتراف بالحق والعمل بمقتضاه، فيصبح المرء مع صحة التصور أسيرَ الباطلِ لاعتبارات متعددة كغلبة الهوى أو العصبية للكبراء أو العجب والغرور أو التحاسد.. إلخ، بل قد يبلغ بالمرء حداً من جحد الحق وإعلان التكذيب مع قيام الحجة العيانية عليه، وقد بين الله شيئاً من أحوال أولئك المكذبين في الدنيا فقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْـمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْـمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١]، وأبلغ منه ما حكاه عنهم في الآخرة: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِـمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٧ - ٢٨].